

الحرب في جورجيا حرب من أجل الغرب

ميخائيل ساكاشفيلي

رئيس جمهورية جورجيا



صحيفة وول ستريت جورنال الأمريكية

11 أغسطس 2008

THE WALL STREET JOURNAL

The War in Georgia Is a War for the West

by Mikheil Saakashvili

The Wall Street Journal

ترجمة: علي الحارس

أثناء كتابتي لهذا المقال، تشن روسيا حرباً على بلادي. ففي يوم الجمعة الماضي (8 أغسطس) اخترقت مئات الدبابات الروسية حدود المناطق الجورجية، وقام سلاح الجو الروسي بقصف المطارات والقواعد والموانئ والأسواق العامة في جورجيا. لقد قتل الكثيرون، وأكثر منهم من جرح. إن هذا الغزو، الذي يذكرنا بغزو أفغانستان عام 1979 وبيع براغ عام 1968، يهدد بإضعاف استقرار الوضع الأمني العالمي. لماذا اندلعت هذه الحرب؟ سؤال يجول بخاطر شعبي. إن هذه الحرب ليست من صنع جورجيا، وليست خياراً لها.

الحرب في جورجيا حرب من أجل الغرب

قام الكرملين بتصميم هذه الحرب. ففي أوائل هذا العام حاولت روسيا أن تجر جورجيا إلى الحرب من خلال احتلال فعلي لإحدى مناطقنا الانفصالية. أبخازيا. وعندما استجبنا لذلك بضبط النفس، نقلت موسكو القتال إلى أوسيتيا الجنوبية.

في الظاهر تبدو الحرب دائرة حول صراع انفصالي لم يصل إلى حل. لكن الواقع شيء آخر. إنها حرب ضد استقلال جورجيا ومستقبلها. وقبل كل شيء، إنها حرب حول ماهية أوروبا التي سيعيش أبنائنا على أرضها. ولنكن صريحين: إن هذا الصراع يخاض من أجل مستقبل الحرية في أوروبا.

لم تستطع دولة من دول الاتحاد السوفيتي السابق أن تجاري تقدم جورجيا في سبيل تعزيز الديمقراطية، والقضاء على الفساد، وبناء سياسة خارجية مستقلة. وهذا هو بالضبط ما تسعى روسيا لتهديمه. وبالتالي فإن هذا الصراع يدور حول قيم الحرية والديمقراطية التي تتشارك بها أمم عبر الأطلسي. وهو صراع حول حق الأمم الصغيرة في العيش بحرية وتقرير مستقبلها. إنه صراع قوة كبرى تجهد للحصول على نفوذ كان لها في القرن العشرين، ضد سبيل التكامل والوحدة الذي حدده الاتحاد الأوروبي في القرن الحادي والعشرين. لقد عازمت جورجيا وحددت خيارها.

عندما وصلت حكومتي إلى السلطة عبر ثورة سلمية عام 2004، ورثنا دولة عاجزة مريضة بوباء صراعيين غير محسومين يعودان إلى أوائل تسعينات القرن الماضي. وتعهدت حينها بإعادة توحيد بلادي، لا بقوة السلاح. بل من خلال جعل جورجيا بلدا جذابا. لقد أردت للمواطنين الذين يعيشون في مناطق النزاع أن يحصلوا على نصيبهم من دولة ديمقراطية ثرية يمكن لجورجيا أن تكونها. وكانتها.

وبالروح نفسها سعينا لإقامة علاقات صداقة مع روسيا التي كانت وستظل الجار الدائم لروسيا. لقد سعينا إلى إقامة صلات وثيقة تقوم على الاحترام المتبادل من جانب كل طرف لاستقلال ومصالح الطرف الآخر. وبينما كنا نصغي باهتمام للمصالح الروسية،

الحرب في جورجيا حرب من أجل الغرب

أوضحنا بجلاء أن استقلالنا وسيادتنا ليسا معروضين للتفاوض. وبذلك أحسسنا بمطلق الحرية للانطلاق خلف الخيار السيادي للأمة الجورجية: السعي لتحقيق تكامل أعمق مع المؤسسات الاقتصادية والأمنية في أوروبا.

وبجهد جهيد عملنا على إرجاع ابخازيا واوسيتيا الجنوبية بشكل سلمي إلى الحاضنة الجورجية، وذلك وفق شروط تحمي حقوق ومصالح سكان هاتين المنطقتين بشكل كامل. ومرت سنوات قمنا خلالها بمحادثات مباشرة مع قادة أبخازيا واوسيتيا الجنوبية، وذلك كي نتمكن من مناقشة خطتنا الهادفة إلى ضمان أقصى مدى من الحكم الذاتي لهم ضمن حدود جورجيا المعترف بها دولياً.

لكن روسيا التي تسيطر على الانفصاليين استجابت لجهودنا بسياسة الضم السافر. وبينما كنا نتوجه لسكان ابخازيا واوسيتيا الجنوبية برؤيتنا المتمثلة في المستقبل المشترك، كانت موسكو تحكم سيطرتها على النظامين الانفصاليين هناك. وحدا الأمر بالكرملين إلى أن يعين ضباطاً أمنيين روس لتسليح وإدارة شؤون الحكومتين الانفصاليتين غير الشرعيتين.

ومهما كانت الظروف، يعد التدخل الروسي في شؤوننا الداخلية انتهاكاً هائلاً للأعراف الدولية. لكن أفعال روسيا تصبح أكثر فحشاً إذا ما علمنا أنها، ومنذ تسعينات القرن الماضي، كانت محل ثقة في تحمل مسؤولية حفظ السلام والتوسط في نزاع ابخازيا واوسيتيا الجنوبية. لكنها بدلاً من أن تلعب دور الوسيط النزيه، أصبحت طرفاً مباشراً في الصراعين، بل وتحولت اليوم إلى معتد لا شك فيه.

وبينما قامت أوروبا بتوسيع مؤسساتها الأمنية لتصل إلى البحر الأسود، ناشدت حكومتي المجتمع الغربي، وبالأخص حكوماته ومؤسساته، للعب دور رئيسي في حل الصراع الانفصالي لدينا. وكان محور أي قرار يرتكز على الاستعاضة عن بنى حفظ السلام والتفاوض التي تقادمت عليها السنوات بعد أن مضى عليها حوالي عقدين من الزمن منذ

الحرب في جورجيا حرب من أجل الغرب

تأسيسها. ويسيطر عليها الروس منذ ذلك الحين. وذلك من خلال استقدام جهد دولي حقيقي.

لكن أوروبا لم تقترب من جورجيا أكثر. وكما هو متوقع. صعدت روسيا من موجة التحريض. وأشار أصدقاؤنا في أوروبا علينا بضبط النفس. وكانت حجتهم في ذلك أن الدبلوماسية ينبغي أن تسنح لها الفرصة لتفعل فعلها. وكان أن اتبعنا ما أشاروا به وخطونا خطوة إضافية باستمرارنا في طرح أفكار جديدة لحل الصراع. ولم نكد نفرغ مما عرضناه خلال الربيع الماضي على قادة الانفصاليين من حكم ذاتي واسع الصلاحيات. وضمانات دولية. وتمثيل أوسع في حكومتنا.

وقوبلت عروض السلام بالرفض. وسعت موسكو نحو الحرب. وفي أبريل الماضي. بدأت روسيا تعامل المناطق الجورجية (أبخازيا واوسيتيا الجنوبية) باعتبارها محافظات روسية. وتارة أخرى. طلب منا أصدقاؤنا في الغرب أن نتحلى بضبط النفس. وكان ذلك ما فعلناه. ولكن روسيا. وتحت غطاء حفظ السلام. أرسلت مظلييها ومدركاتها إلى ابخازيا. واتخذت إجراءات تحريضية متكررة من أجل دفع جورجيا إلى حافة الحرب.

وعندما فشلت روسيا في مسعاها ذلك. ركز الكرملين اهتمامه على اوسيتيا الجنوبية. وأمرت أعوانها هناك بأن يصعدوا هجماتهم على المواقع الجورجية. وكان رد حكومتي وقفا لإطلاق النار من جانب واحد: لكن الانفصاليين بدؤوا بمهاجمة المدنيين كما قامت الدبابات الروسية باختراق الحدود الجورجية. ولم يكن لدينا من خيار سوى حماية مدنيينا واستعادة حدودنا الدستورية. فاستعملت موسكو رد فعلنا كذريعة لتجتاح جورجيا اجتياحا عسكريا بكل ما أوتيت من قوة.

خلال الأيام الماضية شنت روسيا هجوما على جورجيا بكل تصميم. وتدفقت دباباتها على اوسيتيا الجنوبية. ولم تكتف طائراتها بقصف القواعد العسكرية الجورجية. إنما تعدتها إلى البنى التحتية المدنية والاقتصادية. بما في ذلك تدمير ميناء بوتني على ساحل

الحرب في جورجيا حرب من أجل الغرب

البحر الأسود. ويقوم الآن الأسطول الروسي بالتجمع على شواطئنا بينما يبدأ الهجوم على ابخازيا.

ما الذي يقع على المحك في هذه الحرب؟

من الواضح جدا أن مستقبل بلادي على المحك. لقد قالها شعب جورجيا بصوت عال وواضح: بأنهم يرون مستقبلهم في أوروبا. إن جورجيا بلد أوروبي قديم يرتبط بأوروبا من خلال الثقافة والحضارة والقيم. وفي يناير من هذا العام، صوتت ثلاثة من كل أربعة جورجيين بالموافقة على استفتاء لدعم العضوية في الناتو. إن هذه الأهداف ليست مجالا للتفاوض: ونحن الآن ندفع ثمن طموحاتنا الديمقراطية.

وثانيا يقع مستقبل روسيا على المحك. هل تستطيع روسيا التي تشن حربا عدوانية على جيرانها أن تكون شريكا لأوروبا؟ إنه لمن الواضح أن القيادة الحالية في روسيا منكبدة على استعادة شكل استعماري محدث من السيطرة على كامل الرقعة التي كانت تحكمها موسكو في ما سبق.

إذا سقطت جورجيا، فهذا سوف يعني أيضا سقوط الغرب في حضان الاتحاد السوفيتي السابق وما بعده. وسيكون على جيران روسيا، سواء أكانت اوكرانيا أو دول القوقاز أو دول وسط آسيا، أن يفكروا مليًا في ما إذا كان ثمن الحرية والاستقلال يتجاوز قدرتهم.